أثر قدم الرسول ﷺ ومقارنتها بلوحات الأقدام في الإسكندرية وغيرها من المدن المصرية

أ.د. عائشة محمود عبد العال

أستاذ الحضارة والآثار القديمة

كلية البنات للآداب والعلوم التربوية

جامعة عين شمس– جمهورية مصر العربية

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

عائشة محمود عبد العال، أثر قدم الرسول ومقارنتها بلوحات الأقدام في الإسكندرية وغيرها من المدن المصرية.- دورية كان التاريخية.- العدد التاسع عشر؛ مارس ٢٠١٣. ص ٧٩ – ٨٨.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخّص

يتناول هذا المقال دراسة ونشر لعدد خمسة عشرة قطعه أثرية سمى خمسة منها بأثر قدم الرسول ونسبت إلى سيدنا محمد صل الله عليه وسلم ﷺ؛ كما نسبت واحده منها إلى المسيح عيسى بن مريم "عليه السلام"، وهى المحفوظة بكنيسة سخا. بالإضافة إلى عدد قارب العشرة قطع للوحات نُحت عليها بنفس الكيفية صورة لأقدام تؤرخ بالعصر اليوناني الروماني ووزعت في عدد من المتاحف المصرية. والبحث ينشر هذه القطع ويلقى الضوء على ما نسب منها لرسل الله صل الله عليه وسلم ﷺ ويصل لنتيجة بأنها ككل لوحات نذرية تؤرخ بالعصر اليوناني الروماني.

مُقَدِّمَة

عُثر في بعض المساجد المصرية على كتلٍ حجرية نقش عليها نحت يمثل طبعة لأقدام،[١] وقد نُسبت جميعها إلى المصطفىﷺ؛ و من المعروف أن طبعات الأقدام المنسوبة لرسولنا ﷺ لم توجد خارج مصر - حتى الآن – باستثناء المنسوبة إليه عند قبة الصخرة، والمحاطة بإطار معدني؛[٢] أما مجموعة أثر قدم الرسول في مصر، وهي غير منشورة، ولم تشر إلها أيًا من مراجع الآثار الإسلامية أو غيرها، فهي كما يلى - مرتبة حسب شهرتها- :

(١) أثر قدم الرسول في المسجد الأحمدي[٣]

وهو عبارة عن كتلة حجرية مستطيلة من الجرانيت الأسود المصقول، يبلغ طولها 40 سم، أما عرضها فيبلغ 10سم، بينما يبلغ طول القدم المنحوت من الكعب حتى الإبهام 38 سم. (لوحة ١)

(٢) أثر قدم الرسول في مسجد الإمام الشافعي[٤]

وهو كتلة مستطيلة من الحجر الجيرى المتكلس، محاطة بإطار من الألباستر الأبيض؛ يبلغ طول الحجر 50 سم، وعرضه 25.5 سم؛ وقد نحت عليها نحت غائر يمثل قدمًا واحدة يبلغ طولها 31 سم، وعرضها 8 سم؛ ونظرًا لوجود القدم فى أرضية المسجد، ونتيجة لعملية المسح عليها تبركًا فقد تلاشى النحت ولم يعد يرى منه إلا أثره. (لوحة ٢)

(٣) أثر قدم الرسول في مسجد أثر النبي[٥]

وهو عبارة عن كتلة مستطيلة من الحجر الجيري المتكلس، بلغ طولها 42 سم، عرضها 27 سم، وقد نُحت فيها نحت غائر يمثل قدمين متجاورين، طول القدم 22 سم، العرض 8 سم، وقد أقيم فوق الكتلة الحجرية ضريح صغير من الخشب المذهب لحمايتها، وإضفاء القدسية عليها. (لوحة ٣)

(٤) أثر قدم الرسول في مسجد قايتباي المحمودي[٦]

وهو عبارة عن كتلة ضخمة مكعبة الشكل من الجرانيت الوردي، بلغ طولها 36 سم، وعرضها 20 سم، و سمكها 60 سم؛ وقد نحتت عليها قدم غائرة طولها 30 سم، وعرضها أسفل الأصابع 12 سم، وعند الكعب 8 سم؛ وقد أُحيطت بإطار من المرمر الأبيض، وأقيم فوقها ضريح من خشب الأبنوس المطعم بالعاج، والنحاس. (لوحة ٤)

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

(٥) أثـر قـدم الرسـول بجـوار مسـجد سـيدى أويـس القرنى[٧]

وهو كتلة ضخمة من الحجر الجيري مكسورة إلى جزأين غير متساويين؛ أما الكتلة الأكبر فيبلغ طولها 72 سم، و أقصى عرض لها 45 سم؛ وقد نحت فيها تجويف على هيئة القدم طوله 28 سم، وعرضه 8 سم، أما الكتلة الأصغر فيبلغ فطولها 60 سم؛ وعرضها 25 سم، ونجد أن شكل القدم يكاد ألا يرى (لوحة ٥)؛ وقد شُيد فوق الكتلة الحجرية ضريح من الطوب اللبن المكسو بالجص. (لوحة ٦)

كما نسبت إلى نبي الله عيسى بن مريم ﷺ أثر قدم عثر عليها في كنيسة سخا،[٨] وهي عبارة عن كتلة من الحجر الجيري المتكلس طولها 50 سم، وعرضها ٢٠ سم، عليها بقايا لشكل يشبه القدم طوله نحو 15 سم، والعرض 5.5 سم تقريبًا.[٩] (لوحة ٧)

نسب تلك الأقدام إلى الرسول ﷺ

هذا ويعد نسب تلك الأقدام إلى الرسول ﷺ من الأمور التي قد تكون غير منطقية، خاصةً أنه لم يرد في أحاديث الرسول، أو الصحابة ما يشير إلى تلك الفكرة على الإطلاق، وقد سُأل "بن تيمية" عن أثر قدم الرسول عند الصخرة فقال: "وما يذكره بعض الجهال فيها من أن هناك أثر قدم النبي ﷺ ، وأثر عمامته، وغير ذلك فكله كذب، وأكذب منه مَن يظن أنه موضع قدم الرب".[١٠] أي أن شيخ الإسلام بن تيميه قد نفى تلك الفكرة من أساسها بل أعتبر الآخذ بها جاهلاً، كما عرض لمقولة اليهود فيها بأثر قدم الرب ذاته {سُبْحَانه وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا}. (الإسراء: ٤٣)

أما الإمام السيوطي حينما سُئل عن تلك الأقدام فأجاب: "إنه لم يقف في ذلك على أصل ولا سند ولا رأى عنها شيئًا في كتب الحديث، كما أنكره كثير من العلماء؛[١١] كما نجد أن الشيخ "سليمان عبد الوهاب" إمام المسجد الأحمدي قد ذكر في ندوة ألقاها في جمعية الشبان المسلمين في طنطا سنة ١٩٥٨م؛ أن القدم الموجودة في المسجد ليست لرسول الله ﷺ، ورجح أن يكون أحد خلفاء الفاطميين هو الذى قام بنحتها، ونسبها لسيدنا رسول الله ﷺ كنوعٍ من جذب أنظار المؤمنين، وربطهم بالمساجد؛ ولم يجد لها تفسيرًا آخر؛[١٢] ولو صحت نسبتها إلى سيدنا رسول الله ﷺ لكان من الأجدر بالخليفة أن يضع القدم في الجامع الأزهر المسجد الرئيس للخلافة في ذلك الوقت، وليس في أي مسجد آخر؛ كما علل القائمون على مسجد الإمام الشافعي في القاهرة وجود القدم بأن صلاح الدين الأيوبي أحضرها من مكة أثناء حجه، ووضعها في المسجد.

ومن الثابت من الأحاديث النبوي الشريف أن المرة الوحيدة التي ذُكر فيها زيارة الرسول الكريم لأرضنا، جاءت في حديث الإسراء والمعراج؛ أن الرسول ﷺ رأى أثناء الإسراء "درة بيضاء" فسأل جبريل عنها فقال له "أنها طور سيناء"؛ أرض مصر الطاهرة، فنزلﷺ، وصلى بها ركعتين،[١٣] وأمر آخر أنه ليس من المنطق في شيء أن يسير الرسول الكريم ﷺ على صخر الجزيرة العربية شديدة التوهج حافي القدمين، كما أن معجزات الرسول ﷺ كلها مسجلة بمناسبات حدوثها وتاريخها أيضًا،[١٤] وليس من بينها حدوث أثر لقدمه الشريف في أحد الصخور؛ مع ملاحظة أن الصخور التي وجدت عليها طبعات القدم من الصخور القاسية التي يعد نحتها من الأمور العسيرة مثل الجرانيت، والبازلت، وأيسرها الحجر الجيري الأبيض.

الأقدام النذرية

ومن الثابت من خلال كتابات المؤرخين ذكرهم بأن بعض الولاة، والحكام قد اشتروا تلك الأحجار من بعض التجار؛[١٥] مما يؤكد أن تلك الطبعات مدسوسة على رسولنا الكريم ﷺ، وهنا يبرز التساؤل عن تأريخ مثل تلك الأقدام والمغزى أو الغرض الرئيس الذى صنعت من أجله، ولماذا كثر وجودها في مصر؟ وللإجابة عن تلك الأسئلة لابد لنا من الرجوع إلى الآثار المصرية القديمة لنرى ما لدينا بخصوص طبعات الأقدام، وإن كان لتمثيلها أو ربما ذكرها فقط فى نص ما ذا دلالة عند المصري القديم؛ ونجد أنه قد شاع ظهور طبعات لأقدام أصطلح الدارسون على تسميتها بالأقدام النذرية ذلك إبان العصر اليوناني الروماني؛ ونجدها كالتالي:

(١) طبعـة قـدم في المتحـف اليونـاني الرومـاني في الإسـكندرية (لوحة ٨).

عُثر عليها في معبد سيرابيس في الإسكندرية، من الحجر الرملي، محفوظة تحت رقم (17577)، طول الحجر 56.50 سم، عرض 26 سم، طول القدم من الإبهام 46 سم، العرض عند الكعب 15 سم، وأسفل الأصابع 15 سم؛ وهي كتلة مستطيلة من الحجر عليها نقشًا غائرًا يمثل طبعة القدم، بشكل جيد؛ يتصدر واجهة الحجر مستطيل أبعاده 15 سم طولاً، و 14سم عرضًا، وقد نحت به نحتًا بارزًا يمثل حية الكوبرا منتصبة، بينما ألتف الجزء السفلي من جسدها مكونًا دائرتين يخرج الذيل من أحدهما، وعلى رأس الحية قرص الشمس يحيطه قرنا البقرة.[١٦](لوحة ١٠)

(٢) طبعـة قـدم في المتحـف اليونـاني الرومـاني في الإسـكندرية (لوحة ٩).

عُثر عليها في معبد سيرابيس في الإسكندرية، من الحجر الرملي، محفوظة تحت رقم (3224 R.357)، طول الحجر 55 سم، وعرضه 30 سم، طول القدم من الإبهام 40 سم، العرض عند الكعب 13 سم، وأسفل الأصابع 18 سم؛ وهي كتلة مستطيلة من الحجر عليها نقش غائر يمثل طبعة لقدم، شكلت بطريقة جيدة.[١٧]

(٣) طبعة قدم من الفيوم، حجر جيري متكلس (لوحة ١١).

عُثر عليها في معبد اللابيرانث 1913م، محفوظة في المتحف المصري في القاهرة تحت رقم (JE.44090) طول الحجر 59 سم، العرض 33 سم، طول القدم 49 سم، العرض عند الكعب 14.50 سم، وأسفل الأصابع 22 سم، وهي كتلة حجرية مستطيلة عليها نحت بارز يمثل طبعة لقدم، والأصابع متباعدة إلى حدٍ ما عن بعضها البعض، كما أنها متقنة الصنع.[١٨]

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

(٤) **طبعة قدم أخرى من الفيوم، حجر جيري متكلس (لوحة ١٢).**

عُثر عليها في معبد اللابيرانث 1913م، محفوظة في المتحف المصري في القاهرة تحت رقم (JE.44091) طول الحجر 51 سم، العرض 31 سم، طول القدم 46 سم، العرض عند الكعب 11.50 سم، وأسفل الأصابع 18 سم، وهي كتلة حجرية مستطيلة عليها نحت بارز يمثل طبعة لقدم، والأصابع تبدو في مستوى منخفض عن بقية القدم، غير جيدة الصنع.[١٩]

(٥) **طبعة قدم من الفيوم،[٢٠] حجر جيري متكلس (لوحة ١٣).**

عُثر عليها في معبد اللابيرانث 1862م، محفوظة في المتحف المصري في القاهرة تحت رقم (JE.19819) طول الحجر 18 سم، العرض 10.60 سم، طول القدم 13 سم، العرض عند الكعب 4.50 سم، وأسفل الأصابع 5.50 سم، وهي كتلة حجرية صغيرة الحجم، مستطيلة عليها نحت غائر يمثل طبعة قدم، والأصابع تبدو في مستوٍ مرتفع عن باقي القدم، وإن كانت غائرة أيضًا غير أن جوانب الأصابع بارزة بشكل غير متقن؛ يوجد نحت غائر موازى للقدم يمثل سعفه نخيل ممثلة بطول القدم، يصل طولها إلى 15 سم.

(٦) **طبعة قدم مجهولة المصدر (ربما من الفيوم ؟)، حجر جيري متكلس (لوحة ١٤).**

محفوظة في المتحف المصري في القاهرة،[٢١] وهي عبارة عن كتلة حجرية مستطيلة الشكل، عليها نحت غائر يمثل طبعة لقدم، وكأن صاحبها قد غاصت قدمه في طين لين فغاصت بالتالي طبعة القدم والأصابع، وبرزت حواف الأصابع بشكل واضح؛ وهناك نحت غائر موازي للقدم يمثل سعفه نخيل أو ربما شجيرة صغيرة الحجم قليلة الارتفاع.

(٧) **حوض تطهير من الفيوم، حجر جيري متكلس (لوحة ١٥).**

عُثر عليها في معبد اللابيرانث 1861م، محفوظة في المتحف المصري في القاهرة تحت رقم (JE.23217) أقصى طول للحجر عند الصنبور 29 سم، العرض 24.50 سم، أما القدم فمنحوتة بشكل رديء طولها 19 سم، العرض عند الكعب 4.50 سم، وأسفل الأصابع 5.50 سم، أما الإناء فقد نحت داخل تجويف غائر على يسار تلك القطعة الحجرية، أما في الجهة اليمنى للقدم فقد نحتت حية كوبرا مفرودة الجسم على شجرة صغيرة ارتفاعها 6.5 سم، أما طول الحية بقرص الشمس على رأسها فيبلغ 12 سم.[٢٢]

(٨) **حوض تطهير من الفيوم، حجر جيري متكلس (لوحة ١٦).**

عُثر عليها بنفس الموقع السابق بمعبد اللابيرانث 1913م، محفوظة في المتحف المصري في القاهرة تحت رقم (JE.44088) أقصى طول للحجر عند الصنبور 40 سم، العرض 36.50 سم، أما القدم فمنحوتة بشكل لا بأس به، طولها 21.50 سم، العرض عند الكعب 6 سم، وأسفل الأصابع 8 سم، أما الإناء فتحت داخل تجويف غائر على يسار تلك القطعة الحجرية.[٢٣]

(٩) **لوحة عليها طبعة قدم من الحجر الجيري المتكلس.**

عُثر عليها في معبد الإله "مين" في قفط، محفوظة تحت رقم (JE.27071)، وهي تؤرخ بالعصر البطلمي (لوحة ١٧)، طول الحجر 65 سم، عرضه 34 سم، أما القدم المنحوتة بجمال فائق ودقة كبيرة فيبلغ طولها 53 سم، والعرض أسفل الأصابع 14.5 سم، وعند الكعب 10 سم، يوجد شكلين لحيتي الكوبرا كل منهما تقف على عمود لوتس يبلغ طوله 36.8 سم، ويبلغ طول جسم الكوبرا 8 سم، يلاحظ أن النقش كله تحت حماية قرص الشمس المجنح الذي يبلغ طوله 32 سم، بعرض 5.5 سم.[٢٤]

(١٠) **لوحة عليها طبعة لقدم، من الحجر الجيري المتكلس.**

عُثر عليها في معبد "مين" في قفط، محفوظة تحت رقم (T.2/3/25/4)، وهي تؤرخ بالعصر البطلمي (لوحة ١٨). طول الحجر 47.5 سم، عرضه 27 سم، أما القدم المنحوتة مثل السابقة بصورة دقيقة فيبلغ طولها 39 سم، والعرض أسفل الأصابع 13 سم، وعند الكعب 11 سم، يلاحظ دقة التشكيل خاصةً الأصابع والأظافر.[٢٥]

(١١) **لوحة عليها طبعة لصندل؟، من الحجر الجيري المتكلس.**

عُثر عليها في معبد "دكه"، محفوظة تحت رقم (JE.29320)، تؤرخ بالعصر المروى، طول الحجر 53 سم، عرضه 29.5 سم، أما القدم المنحوتة طولها 44 سم، والعرض أسفل الأصابع 15 سم وعند الكعب 11 سم.[٢٦] (لوحة ١٩)

تميزت تلك المجموعة من طبعات الأقدام بظهور شكل طبعة للقدم في الأغلب منحوتة نحتًا غائرًا ومحذوذة على جسم اللوحة؛ وفي بعض الأمثلة تكون القدم ممثلة نحت بارز بحيث تبرز كل تفاصيل القدم من أعلى (وجه القدم) (لوحة ١٨)، وقد تكون الطبعة لصندل (لوحة ١٩)؛ بالإضافة إلى وجود حوضي تطهير، ولهما صنبور بارز، لصب الماء بالإضافة إلى إناء الماء المعروف خلال العصر المتأخر، الذي يصب الماء منه لغسل القدمين (لوحة ١٠، ١١)؛ وقد ظهرت حية الكوبرا على ثلاث لوحات فقط من تلك المجموعة مع اختلافات ملحوظة في الشكل الذي مثلت به، ففي نموذج معبد فقط (لوحة ١٢) نجد الشكل المصري الخالص للحية "نخبت، وواجيت" رمزي الوجهين، المرتبطتين بالملكية وكحامية للملك؛[٢٧] وفي نفس القطعة السابقة نجد قرص الشمس المجنح مع حيتي كوبرا أيضًا، والذي يعد رمزًا للإله حورس بحدتي؛ مما أعطى شكلاً رسميًا لتلك القطع؛[٢٨] وإن كنت أعتقد أنه بعدما شاع تمثيل العناصر الملكية على آثار الأفراد إنما قصد هنا ضمان نوع من الحماية لذلك الجزء من الجسد المصور.[٢٩]

أما في النموذج المحفوظ في متحف الإسكندرية فنجد أن الكوبرا المصورة منتصبة (لوحة ١٠) وملتفة حول نفسها؛ ولها قرنان بينهما قرص الشمس؛ ذلك الشكل المسمى "أجاثوث ديمون"، التي تعد معبودة الحماية الخاصة بالإسكندرية ربما منذ عصر الإسكندر، ثم خلال العصر اليوناني الروماني،[٣٠] وهي ربة مؤنثة ربما كانت مشتقة من إيزيس المصرية، التي صورت بتلك الهيئة

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

غالبًا منذ القرن الرابع قبل الميلاد؛[٣١] وفي نموذج ثاني (لوحة ١٥) توجد حية ممثلة بطريقة رأسية على شجرة، وعلى رأسها قرص الشمس، وأعتقد أنه المرحلة الوسطى بين تمثيل الكوبرا المصرية وظهور الأجاثوث ديمون.[٣٢]

أما فيما يتعلق بالشجرة، فهي من النماذج التي شاعت في التقديمات الملكية منذ العصر البطلمي،[٣٣] ونعلم أن للشجرة مكانة خاصة في الفكر العقائدي المصري، وهي مرتبطة أيضًا بالمعبودة إيزيس؛ وقد ظهر تمثيل الشجرة على ثلاثة نماذج هنا (لوحة ١٣ - ١٥)؛ التي تبدو كسعفه نخيل أكثر من كونها شجرة كاملة، والتي لها معانٍ خاصة في الفكر المصري ثم القبطي وحتى يومنا هذا؛[٣٤] كما مثل الإناء المسمى situla، والذي شاع استخدامه بكثرة خلال العصر المتأخر،[٣٥] ويلاحظ أن ذلك الإناء من الأواني التي أشتهر تقديمها إبان العصر اليوناني الروماني للربة إيزيس؛[٣٦] وهو يستخدم في الطقوس والشعائر التي تقام في المعبد أو الطقوس الجنائزية في المقابر الخاصة، وهو أحد أواني التطهير سواء بالماء أو باللبن.[٣٧]

ونجد أن أغلب الدارسين بمجرد رؤية طبعة القدم يتحدثون بشكل مباشر عن قدم إيزادور، الذي سقط، وكسرت قدمه فنذر إن هو تعافى أن ينحت شكلاً لقدمه، ويضعها في معبد الرب سيرابيس، والربة الأثيرة "إيزيس"؛ والذي كان مقره فيما يعرف الآن بـ "معبد الراس السودا"؛ وقد نحتت القدم متصلة بالساق، وترتدي صندلاً، وهي واقفة على عمود، والملاحظ أنها منحوتة بدقة وجمال (لوحة ٢١)؛[٣٨] وهو تشكيل مختلف تمامًا عن المجموعة السابقة، إذ هي بالفعل قدم نذرية حتى يشكر الرب الذي ساعده على الشفاء، كما وضح النص المصاحب؛ وهو ما صار شائعًا في منطقة حوض البحر المتوسط بل في بلاد فارس أيضًا إذ هناك ارتباط بين المعبود الفارسي مترا، وبين سيرابيس؛ وبالتالي انتقلت فكرة القدم الشافية من أحدهما للآخر، وأمر تحديد المؤثر والمتأثر قد لا يكون من الأمور اليسيرة، كما أنها تخرج عن نطاق البحث الحالي، أو يعلل معظم الدارسون تلك النقوش التي تمثل الأقدام التي تم العثور عليها في الواقع بأنها رمز الألوهية سواء وجدت في معبد أو في مكان عام، وأنها ليست أكثر من نذر كما يوضح نقش قدم معبد الراس السودا؛ ثم علاقة القدم اليمنى لسيرابيس المنتعلة بالشفاء لارتباطه بإسكليبيوس ثم ارتباطه بالمعبود مترا الفارسي، الأمر الذي ظهر معه أقدام مشابهة في فارس، وفي منطقة حوض البحر المتوسط وشبه الجزيرة الأيبيرية،[٣٩] ولا شك أن أصل تلك الأقدام كان مصريًا.

أما فيما يختص بمجموعة اللوحات السابقة فمن الثابت أنه عُثر عليها داخل المعابد، مع ملاحظة تركزها في معبد الإله مين في فقط، ومعبد اللابيرنث في الفيوم، بالإضافة إلى سقارة، و"دكه" في النوبة، وهي غير مصحوبة بأية نصوص، كأنما هي عَلَمٌ في حد ذاتها، وليست بحاجة إلى إيضاح؛ ونضيف إلى المجموعة السابقة لوحة من الحجر الجيري عثر عليها في المقصورة الجرانيتية في معبد الأقصر؛ وأبعادها 60 سم طولاً، و30 سم عرضًا، وسمكها 25 سم، وهي محفوظة في مخزن معبد الأقصر حاليًا،[٤٠] وكذلك حوض تطهير عُثر عليه في الكرنك من الحجر الجيري، يبلغ طوله مترًا، وعرضه 75 سم، أما عمقه 50 سم.[٤١]

أما من الأسرة الثانية عشرة فهناك تمثيل لعملية غُسل يقوم بها مجموعة من الخدم للتمثال الواقف على حوض تطهير؛[٤٢] وفي متحف ليبزج فهناك لوحة لقدم منحوتة فوق حوض، يراها "فانديه" تجسيدًا للعلامة الهيروغليفية التي تقرأ *mꜥ* [٤٣] (لوحة ٢٠)؛ ثم لدينا من الأسرة الرابعة الباب الوهمي للأمير رع حتب من الأسرة الرابعة في ميدوم حيث نُحت عليه حوض تطهير نحت بداخله شكلان لقدمين وكتب فوقهما *mꜥ*[٤٤]، الأمر الذي يؤكد تلك الفكرة (لوحة ٢٢)؛ ومن الطريف أن تلك الفكرة قد جسدها الملك "نعرمر" على لوحته الشهيرة؛ إذ صور حافي القدمين، ومن خلفه حامل الصندل الملكي ممسكًا بالصندل في يد، ويحمل في اليد الأخرى إناء التطهير.[٤٥]

ومن متون الأهرام نجد أن المصري القديم اعتقد أن باطن قدمي الملك هما سفينتا الحق:

ṯbwty pn m mꜣꜥty

باطن قدما هذا (الملك) هما سفينتا الحق (ماعت)[٤٦]

لذلك هو إذ يمتطيهما لابد أن يصل بهما إلى بر الأمان؛ خاصةً إذا ما طهر قدميه بالماء البارد؛ فيتسنى له الوصول إلى مرقى العيد.

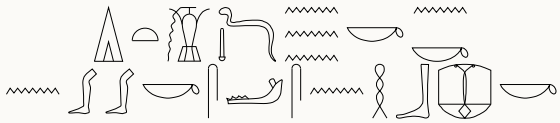

ḏit Kbḥ ḏd mdw mw.k n.k
N rdwy.k sꜥr.sn ḥb.k

"صب الماء" قول: ماءك لك، لقدميك حتى تصعد إلى عيدك.[٤٧]

أعتقد أن تلك الإشارات مجتمعة مع ما سبق من آثار سواء موجودة بشكل فعلى كآثار منقولة أو منحوتة على الجدران كآثار ثابتة، إنما تشير إلى دور التطهير، وغسل القدمين خاصةً إذا ما تعلق الأمر بدخول المعبد في الاحتفالات المقدسة، أو قبل الدفن، ثم أن القدم بعد الغسل تتحول إلى وسيلة مواصلات تساعد صاحبها على الوصول بسرعة إلى مقر الخلود.

وقد لاحظنا أن القطع السابقة قد عُثر عليها داخل المعابد مما يجعلني أعتقد إن الغرض الأساسي هو الإشارة إلى مكان التطهير، وغسل القدمين وخلع النعلين عند بقعة معينة في المعبد أي هي تحدد "مكان الميضا" إذا جاز لنا استخدام هذا المصطلح؛ وأعتقد أنها تمثل أيضًا جزءً من الأثاث الجنزي؛ أما فيما يختص بتلك

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

المجموعة الموجودة في المساجد المصرية فنرى أنها تحمل نفس السمات المصرية القديمة نفس نوعية الحجر وحجمه وحجم القدم المصورة؛ مع ملاحظة أنه بخلاف القطعة المعروضة في مدرسة قايتباي المحمودي الذي اشتراها من أحد التجار فإن باقي المجموعة توجد في مناطق أثرية، ولازال ببعضها أثر للتلال القديمة مثل منطقة برمبل بأطفيح مما يرجح العثور عليها في أحد تلك التلال، وضمها للمسجد للتبرك أو لكي يستفيد بعض القائمين على أمور ذلك المسجد من بعض النفع المادي من العامة الذين يتبارون للتبرك بها.

خاتِمَة

نستنتج من العرض السابق أن:

- طبعات الأقدام الموجودة في بعض المساجد المصرية ليست سوى أثر مصري قديم يعود للعصر البطلمي واليوناني الروماني.
- اللوحات التي تحمل طبعة لقدم سواء بشكل منفرد أو مصحوبة بإناء التطهير ما هي إلا إشارة وتحديد لمكان يجب على مَن يدخل المعبد بداية منه أن يخلع نعليه ويغسل قدميه، ثم يلج إلى الأجزاء الداخلية الأكثر قدسية في المعبد.

الملاحق

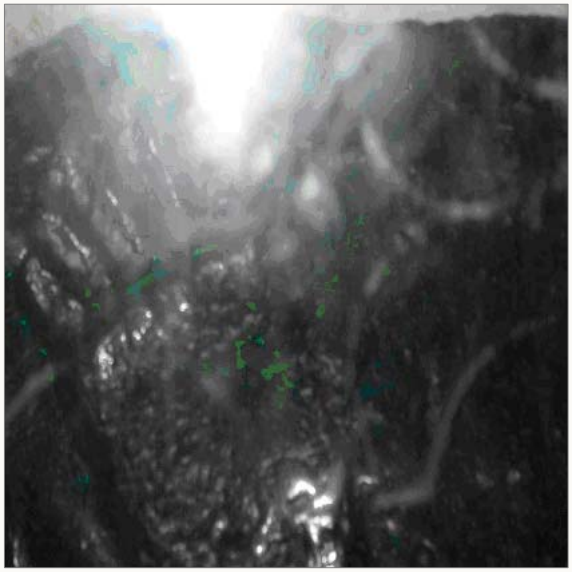

لوحة رقم (١)
أثر قدم الرسول في المسجد الأحمدي

لوحة رقم (٢)
أثر قدم الرسول في مسجد الأمام الشافعي

لوحة رقم (٣)
أثر قدم الرسول في مسجد أثر النبي

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

لوحة رقم (٤)

أثر قدم الرسول في مسجد قايتباي المحمودي مع الضريح المقام عليها

لوحة رقم (٥)

أثر قدم الرسول بجوار مسجد سيدي أويس القرني

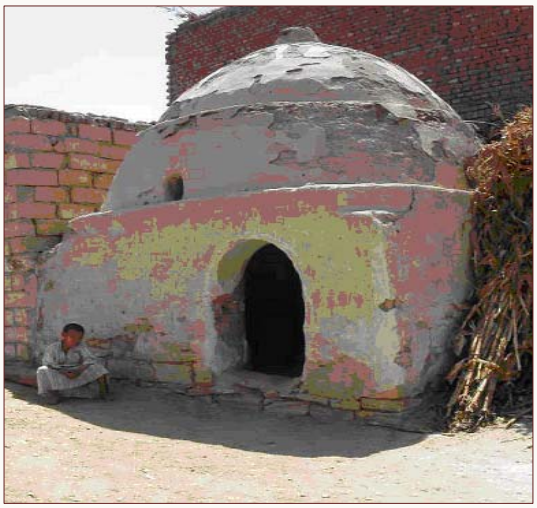

لوحة رقم (٦)

قبة مقامة على أثر قدم الرسول بجوار مسجد سيدي أويس القرني

لوحة رقم (٧)

أثر قدم عيسى بن مريم "عليه السلام"– كنيسة سخا

لوحة رقم (٨)

طبعة قدم -المتحف اليوناني الروماني في الإسكندرية – رقم ١٧٥٧٧

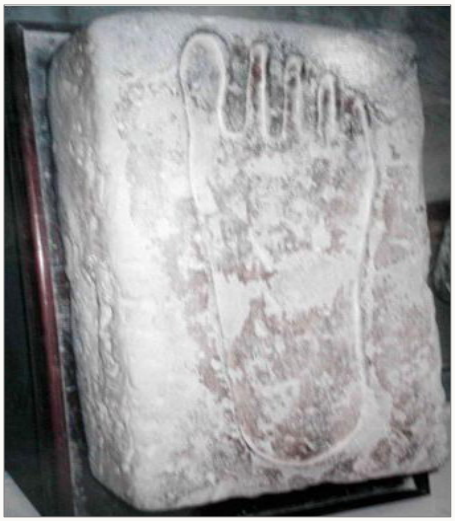

لوحة رقم (٩)

طبعة قدم في المتحف اليوناني الروماني- الإسكندرية ، رقم R.357 ٣٢٢٤

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

لوحة رقم (١٠)

حية الكوبرا منتصبة [تفصيل من لوحة ٨]

لوحة رقم (١١)

طبعة قدم من الفيوم، من معبد اللابيرانث ١٩١٣م JE.44090

لوحة رقم (١٢)

طبعة قدم أخرى من الفيوم ، JE.44091

لوحة رقم (١٣)

طبعة قدم من الفيوم JE.19819

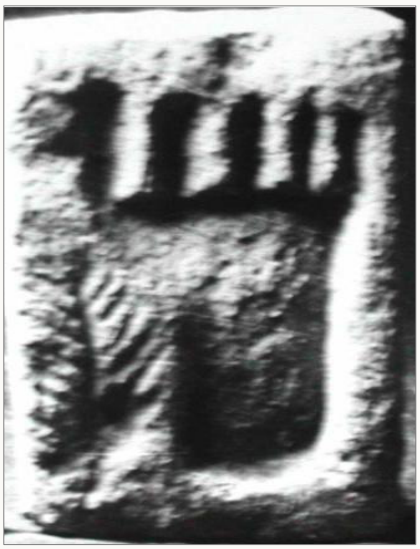

لوحة رقم (١٤)

طبعة قدم مجهولة المصدر - المتحف المصري (بدون رقم ؟)

لوحة رقم (١٥)

حوض تطهير من الفيوم JE.23217

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

لوحة رقم (١٦)

حوض تطهير من الفيوم JE.44088

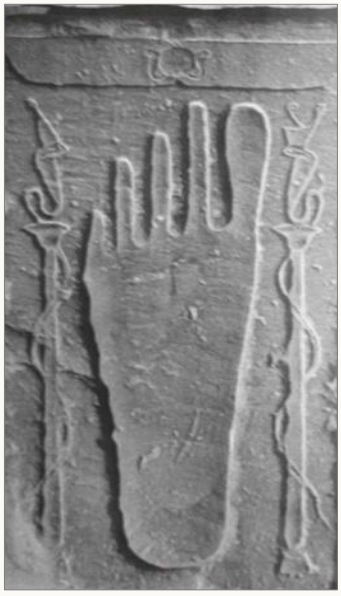

لوحة رقم (١٧)

لوحة عليها طبعة قدم من الحجر الجيري المتكلس JE.27071

لوحة رقم (١٨)

لوحة عليها طبعة لقدم، من معبد "مين " في قفط، T.2/3/25/4

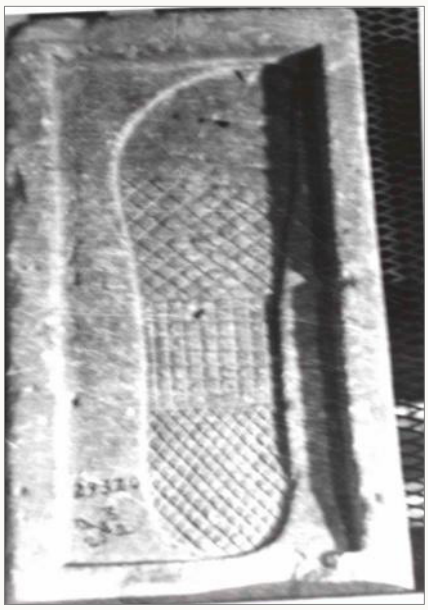

لوحة رقم (١٩)

لوحة عليها طبعة لصندل؟، من معبد "دكه" JE.29320

لوحة رقم (٢٠)

لوحة لقدم منحوتة فوق حوض m^{ς} - متحف ليبزج

نقلاً عن: (*J.Vandier, in: BIFAO 55, 1955, Fig. 7*)

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

لوحة رقم (٢١)

قدم إيزادور بمعبد الراس السودا

نقلاً عن:

Alexandria Greco-Roman Museum: A Thematic Guide. Ed. Fekri Hassan. Cairo 2002, P. 73.

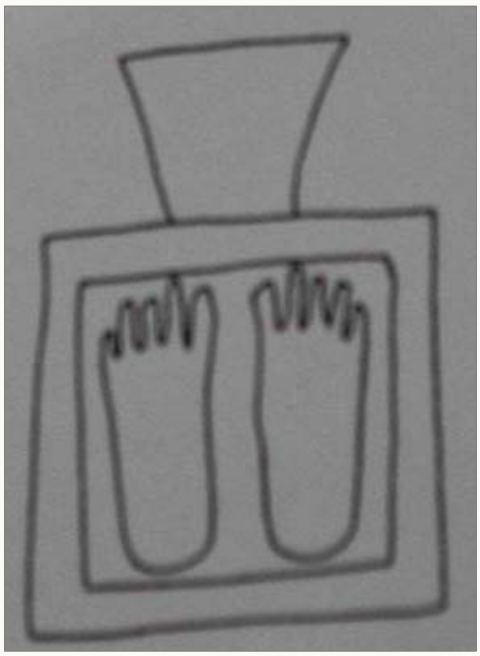

لوحة رقم (٢٢)

حوض تطهير نحت بداخله شكلان لقدمين وكتب فوقهما

m^{c} الباب الوهمي للأمير رع حتب من الأسرة الرابعة في ميدوم

نقلاً عن:

G.H.Fischer, in: Ancient Egypt in the Metropolitan Museum Journal, Vol. I-II,(1968-76), Fig.7.

الهَوامِشُ:

* نُشرت هذه الورقة "أثر قدم الرسول ﷺ ومقارنتها بلوحات الأقدام في الإسكندرية وغيرها من المدن المصرية" في وقائع **مؤتمر الإسكندرية مدينة الحضارات والثقافة** (٢٥ – ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٣) الجزء الأول ص ٢١٣- ٢٢٨.

(١) بداية تلك المجموعة من الأقدام ليس لها علاقة باستخدام القدم كوحدة قياس، التي ظهرت كنقوش في بعض المعابد، سواء داخل مصر أو في غيرها من البلاد، عن هذا الموضوع تفصيلاً راجع:
I. Dekoulakou- Sideris, in: AJA 94, 1990, 445 - 451; R. C. Rottländer, in: ÖJH 61, 1991/92, 57 - 64.

(٢) **قبة الصخرة**: أنشأها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ٧٢ هـ، فوق الصخرة التي عرج منها المصطفى ﷺ، إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج تخليدًا لتلك المناسبة، راجع: حسن الباشا: **موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية**، المجلد الأول، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٨٩؛ ولم يشر المرجع إلى القدم. ذكر بعض العامة أنه كان يوجد مسجدًا بالطائف (يسمى مسجد العداس أو مسجد الكوع) كان به طبعة قدم نسبت للمصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو مسجد غير موجود الآن ولا يوجد دليل على ما كان يحوى من منقولات أو غيرها.

(٣) مسجد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه في طنطا، توفي في سنة ٦٧٥ هـ، وشيد بعد ذلك المسجد وتم عمل عدد من التوسعات للمسجد، أنظر: سعاد ماهر، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج ٢، القاهرة ١٩٧١م، ٣٠٤ وما بعدها.

(٤) **الإمام الشافعي** المتوفى في سنة ٢٠٤ هـ؛ وقد أمر صلاح الدين الأيوبي ببناء مدرسة بجوار الضريح سنة ٥٧٥هـ، أنظر: سعاد ماهر، المرجع السابق، جـ ٢، صـ ١٥٠ وما بعدها؛ أنظر أيضًا: حسن الباشا: المرجع السابق، المجلد الأول، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٣٧٤ - ٣٧٥.

(٥) يذكر المقريزي في سبب تسميته بـ **رباط أثر النبي** أن فيه قطعة خشب وحديد يقال أنهما من أثار الرسول اشتراها وزير مصر "الصاحب التاجي من بني حنا من بني إبراهيم من أهل ينبع بمبلغ ستين ألف درهم فضة وهي اليوم به (عهد المقريزي في القرن الخامس عشر الميلادي)؛ ولم يذكر أي مؤرخ، ولا رحالة شيئًا عن القدم بأثر النبي حتى عهد الجبرتي (القرن الثامن عشر الميلادي)؛ ومن الثابت أن الصاحب التاجي قد شيد الرباط في القرن السابع الهجري، وأستحدث وظيفة "شيخ الآثار النبوية" للإشراف على آثار الرسول بذلك الرباط، راجع: سعاد ماهر، المرجع السابق، ج١، القاهرة ١٩٧١، ص ٤١٣.

(٦) **قايتباي** هو أحد سلاطين مصر من الجراكسة تولى الملك سنة ٨٧٢ هـ، ومكث على عرش مصر ٢٨ عامًا، وكانت وفاته في ٩٠١ هـ؛ يوجد ضريحه في الإيوان الشرقي من المسجد المقام في قرافة المجاورين، حيث وصى بأن يوضع معه كتلة حجرية تمثل أثر قدم الرسول، كان قد اشتراها من التاجر شمس الدين بن الزمن الذى أخبره بأنه جلبها من خيبر، راجع: سعاد ماهر، المرجع السابق، ص ٢١٨ - ٢٢٢.

(٧) **أويس القرني**: هو سيد العباد بعد الصحابة، وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يضرب به المثل في الزهد فيقول: لا زهد إلا زهد أويس، كان يسكن القفار، والرمال، قدم على عمر بن الخطاب، ثم سكن الكوفة، وشهد موقعة صفين مع الإمام على بن أبى طالب ويرجح أنه قتل بها؛ وهو من اليمن من بلدة بالقرن الواقعة في المنطقة الجبلية شرقي القنفذة، التي تمتد إلى حدود بيشة، أنظر: الأصفهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله ت. ٤٣ هـ / ١٠٣٩م) **حلية الأولياء**، ج٢، القاهرة ١٣٥١هـ، ص ٧٩؛ الزركلي (خير الدين)، **الأعلام**، ج١، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٦٩، ص ٣٧٥٥.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

أقيم الضريح في بلدة "برمبل" في مركز أطفيح في محافظة الجيزة، فوق ربوة، تعد من أجزاء سفح المقطم الذى – في الأغلب – استحسن سيدى أويس المقام به ثم الدفن في نفس المكان لما سمع من أفضال جبل المقطم في الأثر، عن سيدي أويس ودفنته راجع تفصيلاً: إبراهيم الدسوقي سيد منصور، **الصفي الخفي سيدي أويس القرني**، دار جوامع الكلم، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٤٣ وبأكمله. أما القدم فوجدت فوق تل يبعد نحو نصف كيلو متر عن ضريح سيدى أويس رضى الله عنه، وقد أقام العامة فوقه ضريح خاص، وسوروا المكان، الذي اشتراه أحد الفلاحين تيمنًا بالقدم (وهو القائم من نفسه على مراعاة الضريح واستقبال الزوار وقد سمح لي بالتصوير ولم يسمح بذكر اسمه).

(٨) **كنيسة سخا**: تقع في محافظة كفر الشيخ، وتعد أحد النقاط الهامة في خط سير العائلة المقدسة في منطقة الدلتا؛ وقد ظهر قدم السيد المسيح على حجر بالقرب من الكنيسة، وقد أخفى هذا الحجر زمنًا طويلاً خوفًا من سرقته في بعض العصور واكتشف هذا الحجر ثانيةً من حوالي ١٣ عامًا فقط، ومعروض حاليًا في الكنيسة راجع:

(http://www.sis.gov.eg/coptic/ahtml/copt7.htm)

(٩) ذكر أن بعض دارسين قالوا أن الكتلة لا أثر بها لأدوات النحت وأنها مثلت أثر طبيعي لتفاعل قدم المسيح على الحجر مع مرور الوقت أثناء ما كان يقوم به من أعمال مستندًا إلى هذه الكتلة!

(١٠) بن تيمية: **مجموع فتاوى بن تيمية**، المجلد ٢٧، الطبعة الثانية، مطابع المختار الإسلامي ١٣٩٩ هـ، ص ١٣.

(١١) سعاد ماهر: المرجع السابق، ج٢، ص ٢١٨ – ٢٢٠.

(١٢) شكر وتقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور مجاهد الجندي، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، في جامعة الأزهر، الذي سمح لي بالاطلاع على ذلك الجزء من كتابه عن مسجد السيد أحمد البدوي، وهو لا يزال مخطوطًا يُعد للنشر حاليًا.

(١٣) أحمد بن على بن حجر العسقلاني: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، الجزء السابع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٦، ص ٢٣٩.

(١٤) عن معجزات الرسول ﷺ راجع تفصيلاً: عبد الباسط الحنفي (٨٤٤ - ٩٢٠هـ): **غاية السؤال في سيرة الرسول**، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتاب ١٩٨٨، ص٦٢ - ٦٣، ٢٣٩-٢٥٨.

(١٥) راجع: حاشية رقم (٦ ، ٧).

(16) L. Castiglione, in: ***Acta Orien.Hung.***, 20, 1967, 246, Fig. 4.
(17) Ibid., 247, Fig.3.
(18) Ibid., 246, Fig.14.
(19) L. Castiglione, Op-Cit., 246.

(٢٠) غير منشورة.

(٢١) لم أعثر على أي بيانات تخص هذه القطعة سوى أنها ضمن مقتنيات مخزن ٢٩ أرضى (R.29 E 3)، غير منشورة.

(22) A. Kamal, ***Tables d`Offrandes***, 1909, 149, Pl. LIV; L. Castiglione, Op-Cit., 240F, Fig.5.

(٢٣) غير منشورة.

(24) L. Castiglione, Op-Cit., 240, 243, Fig. 7 .

(٢٥) يبلغ طول الظفر الإبهام ٣ سم، وعرضه ٢.٥ سم.

Ibid., 246.

(٢٦) كما عُثر في منطقة خور عبد الحميد على مقصورة صغيرة من العصر المروى، وأيضًا في معبد T ، وفي معبد كاوا جنوب الشلال الثالث على قطع مشابهة تمامًا لتلك القطعة التي نُحت عليها شكل لطبعة الصندل، ومعروضة حاليًا في متحف الخرطوم، راجع:

L. Castiglione, Op-Cit., 242, 245, Fig.15.
(27) N. Hansen, in: ***Ancient Egypt***, III, 2001,298.

(٢٨) على الرغم من أننا نعلم أن ذلك العنصر أصبح شائع الاستعمال منذ الأسرة الثانية عشرة، راجع:

R. Hölzl, in: VIÄA 55, Bd 10, 1990, 287.

(٢٩) عن قرص الشمس المجنح ودلالاته الدينية، راجع:

A. Radwan, in: SAK 2, 1975, 227ff.

(٣٠) (Agathos demon) معبودة يونانية الأصل، ترتبط بالقدر، ولقد كانت معبودة شائع تصويرها وأختارها عدد من المدن اليونانية كحامية لهم، راجع تفصيلاً:

Ph. Derchain, in: LÄI, 19775, 94.
(31) S. Bakhoum, **Dieux Égyptiens à Alexandrie sous les Antonins**, Paris 1999, 137 - 145.
(32) H. Riad, **Alexandria, An Archaeological Guide to the city and the Graeco-Roman Museum**, Cairo 1981, 109.
(33) W.F. Petrie, **Roman Ehnasya**, London 1904, pl.LXXIII, Fig. 205-245; Petrie, A thribis , 1908, pl. XVI.

(٣٤) ظهرت فكرة إلهة الشجرة منذ الأسرة الثامنة عشرة واستمرت حتى العصر اليوناني الروماني، وأول منظر يصور إيزيس كربة للشجرة كان في مقبرة الملك تحتمس الثالث بوادي الملوك، وهي كسيدة للشجرة تقوم بإطعام المتوفى وسكب الماء له. راجع تفصيلاً:

A. Mare-Lane, ***Le deesse arbre den la religioneit l`art Égyptiens***, Paris 1980, 420.

(٣٥) هيئة هذا الإناء معروفة على الأقل منذ الأسر الثانية، حيث عُثر على أحدها في مقبرة الملك خع سخموى من الألباستر، وكثرت فيما بعد مع الأسر الثامنة عشرة وعصر الانتقال الثالث كإناء برونزي، ثم شاع في العصر المتأخر، راجع تفصيلاً :

A. Radwan, in: Bd`É XCVII/2, 1985, 149f, Taf. 8 (43), 64, 65, 72 - 74.
(36) L. Castiglione, Op-Cit., 250; R. S. Bianchi, ***Cleopatra's Egypt***, Munich 1989, No. 110 .
(37) A. Radwan, Op-Cit., 150.
(38) Alexandria Greco-Roman Museum: ***A Thematic Guide***. Ed. Fekri Hassan. Cairo: (CULTNAT) and (SCA), Egypt, 2002. P.73.

(٣٩) عن أقدام مترا وتأثيرها على سيرابيس والعكس، راجع:

M. F. Squariapino, in: EPRO 3, 1962, 22 - 23, Pl.13 (18); S. Bakhoum, Op-Cit., 49-50; K. M. Dunbabin, in: JRA 3, 1990, 85 - 109; I. D. Sideris, in: AJA 94, 1990, 445 - 451.
(40) L. Castiglione, Op-Cit., 242, 245, Fig.17.
(41) J. Vandier, in: BIFAO 55, 1955, 27. M. Blackman, in: JEA V, 1918, 121;
(42) M. Blackman, in: JEA V, 1918, 117 - 24.
(43) J. Vandier, in: BIFAO 55, 1955, 27ff, Fig. 7.
(44) G. H. Fischer, in: ***Ancient Egypt in the Metropolitan Museum Journal***, Vol. I-II, (1968 -76), 1977, 3149, Fig.7.

(٤٥) **الملك نعرمر** هو آخر ملوك الأسرة "صفر" كما ترى المراجع الحديثة، وربما أن تأريخ تلك اللوحة يعود لنحو سنة ٣٠٣٨ ق.م، أنظر:

T. Schneider, ***Lexikon der Pharaonen***, Berlin 1996, 253 - 255; M. Saleh & H. Sourouzian, ***Official Catalogue***, The Egyptian museum, Cairo 1987, No.8.
(46) 1314 a 539 PT.
(47) PT . 436 § 788 a; 791 b.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449